

## كتاب الاسلام (\*)

(لاكونت هنري دي كاستري)

يعلم من له وقوف على التاريخ الحديث ان الحروب الصليبية هي مبدأ جميع المشاكل بين المسلمين وبين اوروبا بل بين هذه وبين جميع الشرق ولقد كان مبدأ تلك الحروب تحمس وغلو في الدين وتمصب من اوروبا على الاسلام وما كانت لتهدت تلك الامم كلها وتندفع على الممالك الاسلامية وتعمل على ابادة الاسلام وهي تعتقد انه دين قيم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحفظ الصدق والذمة ويقيم القسطنطيني بلاد كان له السلطان عليها اذ لا يجوز اتناق اهم كثيرة على حب الشر وكرهه الخير والرغبة في محوه واصطلامه وان جاز ان يمنح الى ذلك افراد او جماعات من الناس نشأوا على الشرور وتربوا على الفساد او اعتمهم الحظوظ وشهوات النفوس من حب الرياسة وغيره وانما طوح بامم اوربا الى ذلك اذ قوماً من ارباب الاهواء مثلوا لهم الديانة الاسلامية بتمثال مشوه اجتمعت فيه الممايب والردائل المخرقة في العالم كله وزايت جميع المحامد والفضائل والمحاسن الى مالا عمل لشرحه هنا.

تفجر طوفان تلك الفتن فجرف ماجرف وفاضت بحار الا تنقام نفسي الناس من اليم ما غشيم واعقب ذلك الجزر الى اجل مسمى ثم فاض نائب تلك البحار باسم جديد وتلون بالوان المدينة الحديثة المدهشة ببناء منظرها وغرابة مخبرها . مدينة روحها الثروة وجسدها الثروة قرب طلاب الكسب فيها

الابعاد وخالطوا جميع الامم حتى كادت الارض تكون مدينة واحدة .  
بهذا امكن لاهل اوربا الوقوف على حالة المسلمين في سيرتهم الدينية ولكن  
« عندما » ذب اليهم داء الامم السابقين « واتبوا سنن من قبلهم شبراً بشبر  
وذراعاً بذراع » فكان لمن رآهم بعين السخط دليل من انفسهم على ما  
رماهم به الطاعنون حتى بما يسمونه عبادة القديسين كما هو منصوص في  
كتبهم، ومسدوع من كلمهم، ومنهم من نظر بعين الانصاف فرأى من اعمالهم  
حسناً وقيحاً وتبين له ان قومه مفرطون في ذمهم للاسلام وغالون في  
تحزبهم وغمطهم للمسلمين

ومن هؤلاء من ذهب به حب اكتشاف الحقيقة الى النظر في  
القرآن وغيره من كتب الدين حتى ادى به البحث الى الاعجاب به ثم  
اعتناقه او الثناء عليه

ومن المثبتين على الاسلام في مصنفاتهم ( الكونت هنري دي كاستري )  
كتب كتابا سماه ( الاسلام، خواطر وسوانح ) بحث فيه عن صدق سيدنا  
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في نبوته فقد مزاعم قومه فيه لا سيما اصحاب  
« اغاني الاشارات » التي كانت السبب في الحروب الصليبية وتكلم على  
الاسلام في زمن الفتح وما بعده وعلى القضاء والقدر وغير ذلك من المسائل  
التي يظن بها اهل اوربا على الاسلام، وتكثر المباحث بها في هذه الايام،  
لا سيما من المستشرقين في اوربا، ويستشهد في كلامه بالقرآن العزيز ويحتج  
بآياته . كل هذا وعلماء المسلمين لا يدرون في الغالب ماذا يقال في دينهم مدحاً  
ولا ذمماً بل تركوا الامر لاهل اوربا يفتاؤون عليهم بما يشاؤون وكيف يدرون  
وهم لا يعرفون لغات القوم ويذمون في الاكثر من تعلمها ويختبر حالة اهلها

وينظر في كتبهم وربما طعنوا في دينه من جراء ذلك حتى كادت الطبقة العارفة بلغات أوروبا والناظرة في فنونها تكون منفصلة عن الطبقة المشتغلة بعلوم الدين انفصالا تاما ولا مجال هنا لبيان الضرر في ذلك على الأمة الاسلامية وإنما قول انه يوجد في علماء الدين من يعلم وجه حاجتنا الى علوم أوروبا في العلم ويوجد في العارفين بمصنفات الاوربيين والناظرين في فنونهم من يحب خدمة الملة والدين بعلمه ومن هذا الفريق العالم القانوني الفاضل عزتو احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية فإنه يختلس الفرص من اشغاله القضائية الكثيرة لترجمة الكتب النافعة ولقد ترجم غير كتاب ولا يزال يدأب في هذه الخدمة . وآخر كتاب نقله للعربية وطبعه كتاب الاسلام للكونت دي كاستري المشار اليه آنفاً .

احب القاضي الفاضل ان يعرف قومه ماذا يقال عنهم رجاء ان تنهض همهم للمداخلة عن انفسهم بالاستدلال واصلاح الحال فاننا اذا اقتننا أوروبا بان ديننا دين علم وتهذيب ( وهو الواقع ) يوشك ان يتغير فيها الرأي العام فينا ولنا في ذلك من المنافع العلمية والسياسية مالا يحجل . وقد احييت ان تحف قراء المنار بمقدمة حضرة المترجم لما فيها من الفائدة والتنبيه لما ينبغي ان توجه اليه افكار المسلمين لا سيما العلماء منهم فاننا نحن المسلمين نعتقد ان القرآن هو اول كتاب سماوي الف بين الدين والعقل ، وجمع بين مصالح الدنيا والآخرة بالعدل ، وان نبينا عليه الصلاة والسلام انما بعث يتمم مكارم الاخلاق ، ويضع حدود الفضائل والآداب ، وأوروبا ترمينا بتقيض ذلك كله ونحن نكاد نصدقها باعمالنا وأحوالنا حيث نعرض عن الفنون المصرية ، ولا نكذبها بأقوالنا حتى قام منها من يدافع عنا ، فكان أولى بنا مناء

ولو كنا نحن المناضلين عن أنفسنا لكانت الفائدة أتم، والمنفعة أعم،  
فسي ان يلتفت الى هذا الامر الجليل أهل الرشاد، كيلا نكون مع  
مناظرينا كالنعامة مع الصياد

## مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه  
ومن والاه، أما بعد فاني عثرت على كتاب فرنساوي الفه حضرة الكونت  
هنري دي كستري في الدين الاسلامي سنة ١٨٩٦ ميلادية ولما فرغت  
من قراءته وجدته منساقا الى ترجمته فلم يدركني ملل ولا نصب حتى  
أتيت على آخر الكتاب وعدت فراجت الترجمة فاذا هي تكاد ان  
تكون حرفا بحرف ثم توجهت الفكرة الى طبع هذه الترجمة ونشرها على  
الناطقين بالعربية فاعترضني بعض الاصدقاء بعد ان أريته شذرات من  
الترجمة وكان من رأيه عدم النشر بالطبع واحتج بان الكتاب وان كان  
غاية في التدقيق قاصداً نهاية التحقيق غير انه اضطر الى ذكر ما كان  
يعتقده او يتوهمه مسيحو العصر الخالية في الدين الاسلامي من الشناعات  
والسباب وذكر مثل هذه الاشياء وان كان على سبيل الرد عليه ربما  
اشأزت له النفوس ووقع من المطلعين عليه موقع الاعتراض وعدم  
القبول فهو لا يروق من هذه الجهة جماعة المسلمين وانني لم يكن ليخطر  
ببالي مثل هذا الخاطر ولم يدركني في خلدي ان يعترض واحد على ذكر هذه

الاشياء في الكتاب وهي لم تذكر من المؤلف وهو مسيحي على انها حقائق بل اوردها على انها اوها معلقة باذهان المسيحيين من تلك الاعصر وترتب عليها ارتسام المسلمين في مخيلاتهم بالصور الشنعاء واراد المؤلف محو هاته الصور من مخيلات الاجيال الحاضرة فبرهن واقنع واستدل بالحجة القاطعة على ان تلك موهومات لانصيب لها من الحقيقة وذكر اسباب ايجادها في النفوس وورغب الى قومه ان يستبدلوا تلك الصور المشوهة بصورة الاسلام الحقيقي وما يدعو اليه من خير واصلاح فلذلك لم اجول على رأي ذلك الصديق في التأخر عن الطبع الا انه اوجب عندي استشارة غيري وغيره فرأيت امام الصديق المعارض اصداق موافقين وغيرهم مستحسنين وغيرهم آمرين وبالطبع غلب رأي الاكثرين رأي الواحد خصوصاً وانه لم يستند الا على شيء قال ربما يحصل ونحن نقول ربما لا يحصل وان حصل فهو من عدد قليل وانه لو لم يذكر المؤلف ما ذكره من تلك الموهومات ونبه على فسادها وبرهن على خلافه لبقى صر كوزاً في اذهان قومه وبقينا وبقينا عندهم على ما توهمه السابقون منهم اما وقد فعل فلا شبهة في انه خدم ما استطاع ووجب علينا شكره ما استطعنا ومن تمام شكره اعلام قومنا بكتابه ولكننا لم نرد ان نأخذ به بدون اذنه واستمنحناه الاذن فيه ففضل بالاجابة وكان له بذلك الشكر والامتنان على ان امكان اشمزاز البهض مما جاء في هذا الكتاب من الاقوال التي ردها المؤلف ودل على خطاها بالبرهان لا يقابل الفائدة التي نراها من نشره والذي يقصد الفائدة ويحرم ما أخذها لا ينبغي له ان يلتفت الى ما عساه يكون من تفرز بمض القراء فاتهم لو انصفوا لما تفرروا

هذا وان قومي لملي علم تام من ان مقصد مثلي حسن وغرضي انما هو التنبيه على انه قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأي قومه فينا وازالهم وجهي الخطأ والصواب ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا، وما دفع به الدافعون وليتهم كانوا منا، وان نعرف صاحبي الرايين فنعرف الخطي، ولا ندع له باباً آخر للظن علينا ونعرف لذي الصنعة صنعه الجميل فزيدة اعتقاداً باستحقاقنا لما صنع . وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل فقد حكى بعض المذاهب بنصها وفصها ورد عليها بنافية الايضاح والتبيين وعندنا كتب سادتنا الاولين في علوم الاصول والكلام وكما تحكي المذاهب الباطلة مفصلة وترد عليها ومن علمائنا السابقين من يوجب حكاية المذهب الفاسد ليتمكن المطلع من الرد عليه بالدليل فاذا كان هذا هو الحال في المذاهب التي قررها اصحابها ويخشى حقيقة من انتشارها لانها مبرهنة بنوع من البرهان وان كان فاسد المقدمات فما الظن بما حكاها الغير منا على وجهه اما غلطاً او قصداً لغرض مخصوص . اظن انه لا يختلف اثنان في انه من ازم الواجبات حكاية ما حكوه واشهار ما قالوه واذا كان الغرض في القسم الاول هو الرد عليه فليكن الغرض من هذا القسم معرفة ما رتبناه وهذا بلاريب ينتج الرسوخ في العقيدة عندنا و ينتج ايضا اقتناع الواهين بصدماتوه وهذه النتيجة تقصد لكبار العقلاء ومحبها افاض العلماء

وفوق هذا فانا بذكرنا ما قالوه قدحاً علينا او طعناً في ديننا او صاحبه عليه الصلاة والسلام نرجع الى انفسنا ونبحث عما اذا كان لا قوا لهم من ايماننا متزع أم لا فان كان لهم منها متزع علمنا كما هو الصواب انه ليس

من أصل الدين فلا نلبث ان تباعد عنه ورجع لاصل الدين التويم ولا  
نحيد عن العمل به في أي حال من الاحوال وان لم يكن لهم من اعمالنا  
منتزع ادركنا ان لهم غرضاً مخصوصاً وعملاً على مايزيل هذا الوم من  
انفسهم أو يدفع بهم الى تغيير غرضهم فيناوم لاشك مجتنبوه اذا رأوا منا  
ذلك المنهج المعتدل والسير على الصراط المستقيم فان مقاومة الوم بمثله لا تقيد  
ثم انه لا ينكر ان في همتنا قصوراً عن البحث فيما يمتقده الناس فينا  
فاذا قبض الله لنا من بحث بدلنا ورد الشبه عنا فما أجدرنا بقبول عمله  
واظهار الرضا به وما اولانا بنشر تحقيقاته بيننا حتى تم فائدتها جميعاً وربما  
جرتنا هذا الى الاشتغال بانفسنا فانه ماحك جسمك مثل ظفرك ولا احسن  
من ان يتولى الانسان مصالحه بيده مع حفظه حق مرشديه وعدم انكار  
صنيعهم الجميل

ولقد رأيت المؤلف من الثبوت في العقل والاعتدال في الحكم واستعمال  
الدوق في الرد واعمال العقل في النقد وطريقه والاستشهاد بالوقائع التاريخية  
مافاق به سواء من مؤلفي زمانه فبان لي انه غرضه الحقيقة ايا كانت ولا  
اولئخذ في بعض مواضع كتابه مما لم يطابق نقله الاحكام الشرعية اذ ربما  
اعتمد فيه على قول بعض النقلة وربما كان نقله صحيحاً على بعض المذاهب  
التي لم أقف أنا عليها ولذا لم ألحظ عليه في الهامش ملاحظات مستقلة  
وقضلا عن هذا فاني رأيت ان تكون الترجمة نقلاً لاصل برمته ليعلم ماذا  
قصد وماذا كتب ويكتفي بما منه انه طالب للحق وان جاء في بعض آرائه  
ما عساه يحمل على الخطأ مثل الذي له في التأويل والحكاية عن اخلاق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وامحاله واعتقاداته، على انه لا يفوت قراء الترجمة

ان الكتاب كتب لينشر بين قوم المؤلف وكان لا بد له من ملاحظة افكار المكتوب اليهم واحوالهم وربما اضطر في ذلك الى ابراز بعض الحقائق الثابتة عنده في صورة الاحتمال والامكان كما يشير اليه كتابه الي ايذانا بنشر ترجمته كذلك لم اشأ ان اكون معه من المجادلين لسلا تضعيم الحقيقة او ينجير الامر الى الانكار على صاحب مقصد حميد هذا واني تارك هنا ما نحن عليه من وقوف حركة النظر ومن تعطيل قوة البحث في العلوم ومن ترك مادعينا للعمل به من قواعد الدين ومن الابتداع فيه وعدم العمل بزواجره واجتناب نواهيهِ ومن اغفال ما نحن عليه من العلوم النافعة والتربية الناجمة فان ذلك وان كان له اساس بما نحن بصدده الا انه يقتضي الشرح الطويل مما لا يحتمله هذا المقام لكتنا نقول قولة مجملة بان الاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرضى منا بالنفلة عن المنافع والمصالح ويطالبنا بدفع الفسدة ومختناع على مكارم الاخلاق ويبين لنا ان كل بدعة ضلالة وان كل ضلالة في النار وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وان العلم يطلب ولو في الصين وان لا شيء من العلم بضار ولا شيء من الجهل بمفيد وان من احدث في الدين ما ليس منه فهو رد عليه . هذه هي تعاليم الاسلام الا ان العصر الحاضر قد خرجت بالدين الى ما ليس منه فمطلت شمائره الحقيقية ودخلت فيه البدع وتغلقت المعتقدات الفاسدة على القواعد الصحيحة ونمست الناس بالبدع وتركوا الفروض والواجبات وكاد القرآن يتلى مع الآلات المطربة والصلاة تؤدي في الحانات وانذر العلم وانحلت الفرائض وقمدنا عن تحصيل القليل من ضرورياتنا وتأخرت التربية ففسدت الاخلاق وتناكرت

النفوس فاختلقت المداعي وتما كست المقاصد ففرقت المنافع وانحل عقد نظام المسلمين فاصبحوا اشتتاً يفتهم الناس ويرمونهم بالانحطاط ويديرونهم بما تزه عنه شرعهم ولكنهم القوه وبالفرا في التمسك به حتى تبدت الاحوال وصار كما قال صاحب المنار « الجبر توحيداً وانكار الاسباب ايماناً وترك الاعمال المفيدة توكلاً ومعرفة الحقائق كفراً والحلاداً وابذاه المخالف في المذهب ديناً والجهول بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً والذلة والمهابة تواضعاً والخضوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليماً والتقليد الاعمى لكل متقدم علمياً وايقاناً » نعم كان هذا كله واكثر منه مما تمسك عنه وانما سقتنا ما ذكرنا معذرة لمن يفهم من الاجانب ان سوء حالتنا من جهة ديننا وان رضوخنا للجهالة احدى دعائمه كما يتبين من عرض افكارهم في هذا الكتاب والدين براه منه . وكيف نطلب منهم حسن الاعتقاد في الاسلام وهم يرون المسلمين يأتون من الاعمال ما لا ينطبق على عقل ولم يقل به شرع اللهم الا اذا كان كما فهموه منا . انهم في الحقيقة مذورون اذا نسبوا اعمالنا هذه الى الدين فانهم لا يفرقون بين ما هو منه وما هو بعيد عنه وليس لهم الا أن يمتقدوا بان عملنا مأمور به لا منهي عنه

الى هنا تمسك القلم وتترك القول للمؤلف سائلين أن يستصحب القارىء معه في قراءة هذه الترجمة ما قدمناه من الملاحظات وبالله الاستعانة وعليه الاتكال في صلاح الاعمال اه